خطيبه وشاعره فقاما فتمدحا وافتخرا بمجد القومية أيضاً، واعتزا بها كما اعتز وفد تميم بقوميتهم، ولكنهما جمعا بين الاعتزاز بالقومية والاعتزاز بالدين، وضربا لنا مثلا بأنه لا تنافي بين الأمرين.

وأما حديث: " إن ا قد أذهب عنكم عُبّـِية الجاهلية وتعاظمها " بآبائها ". وكذلك الآية التي ذكرت فية فسببهما أنه لما كان يوم فتح مكة أمر النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) بلالا حتى علا ظهر الكعبة، فأذن في الناس أذان الإسلام، فقال عتاب ابن أسيد: الحمد الذي قبض أبي ولم ير هذا اليوم. وقال الحارث بن هشام: أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا. وقال سهل بن عمرو: إن يكره ا شيئاً يغيره. وقال أبو سفيان: إني لا أقول شيئاً أخاف أن يخبره رب السماء.

فأخبر النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) بما قالوا، وسألهم عما قالوا فأقروا، فأنزل ا تعالى تلك الآية، وقام النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) فخطب فيهم تلك الخطبة، وزجرهم ونهاهم عن التفاخر بالأنساب، والتكاثر بالأموال، والإزراء بالفقراء، كما أزري هؤلاء الأشراف من قريش ببلال، لأنه كان عبداً فيهم قبل الإسلام، فأنفوا أن يصل به الإسلام إلى هذه المنزلة التي يعلو فيها ظهر الكعبة، ويؤذن في الناس بما أذن، وهذا تفاخر بالأنساب والأموال يأباه الدين، لأن فيه خروجا عليه، وإنكارا لرفعه بلالا بسبقه إلى الإسلام إلى هذه المنزلة، ولوضعهم في منزلة دونه بسبب تأخرهم في الإسلام ومحاربتهم له.

فالإسلام يقر مجد الآباء ولا ينكره، ولكنه لا يقره على الإطلاق، وإنما يقره إذا بعث في الأنباء سعياً للمحافظة عليه، وإذا لم يبعث كبراً على الناس وتعاظما عليهم وإزراء لهم، كما أزري أولئك الأشراف من قريش ببلال، وقد روى عن أبي هريرة أنه قال: سئل رسول ا صلى ا عليه وسلم: أي الناس أكرم؟ قال " أكرمهم عند ا أتقاهم ". قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: " أكرم الناس يوسف نبي ا ابن نبي ا ابن نبي ا ابن خليل ا ". يعني آباءه يعقوب وإسحاق وإبراهيم عليهم الصلاة والسلام، قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: فعن معادن